" حمودة باشا ودوره الأصلاحي في تونس " ١٧٨٢-١٨١٤

أ.م.د. بشرى ناصر هاشم الساعدي
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب – قسم التاريخ

م.د. ميساء لؤي عبد الله
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب – قسم التاريخ

(مُلَخَّصُ البَحث)

تعد شخصية حمودة باشا واحد من أهم الشخصيات الاصلاحية في تاريخ تونس الحديث ، أذ تمكن طيلة فترة حكمه التي قاربت على ثلث قرن من ان يحدث نهضة في جميع انحاء البلاد ، بل أنها اصبحت في مصاف الدول الحديثة نظراً لما قدمة هذا الباي من ازدهار في جميع المجالات سواء الجانب السياسي والاداري والاقتصادي والاجتماعي فضلاً عما أحدثه من اصلاحات في المجال العسكري ، والتي كان لها الاثر الكبير في الاعتماد على القوى الوطنية في كل المجالات . مما كان له الاثر الكبير في استعادة هيبة ومكانة تونس لمواجهة السيطرة الاوربية.

المقدمة

تُعدّ شخصية حمودة باشا واحد من أهم الشخصيات الإصلاحية في تاريخ تونس الحديث ، إذ تمكن طول مدة حكمه التي قاربت على ثلث قرن في احداثدث نهضة في جميع أنحاء البلاد ، مما جعلها في مصاف الدول الحديثة نظراً لما قدمه هذا الباي من ازدهار في جميع المجالات سواء الجانب السياسية أو الجانب الاقتصادي أو الجانب الاجتماعي ، فضلاً عن أحداثه اصلاحات في المجال العسكري والتي كان لها الاثر الكبير في الاعتماد على القوى الوطنية في كل المجالات . كما كان له الأثر الكبير في استعادة هيبة ومكانة تونس لمواجهة السيطرة الاوربية.

ونظراً لهذه الأهمية جاء اختيارنا لهذا الموضوع ولأجل توضيح هذا الموضوع، وابرز تلك الاصلاحات ، قسمنا بحثنا الى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، درس المحور الاول منه ولادة ونشأة حمودة باشا حتى توليه الحكم ، في حين بحث المحور الثاني سياسة حمودة باشا الاصلاحية الداخلية والخارجية ، وناقش المحور الثالث أسبابا ونتائج الاصلاحات العسكرية ، وجاءت الخاتمة لتضع ابرز النتائج التي توصل لها البحث.

اعتمد البحث على عدد كبير من المصادر التي تتعلق بموضوع البحث ، والتي يمكن التعرف عليها في قائمة المصادر.

ولادة ونشأة وتعليم حمودة باشا وتوليه أمور الحكم في تونس

ولد حمودة باشا بن علي بن حسين بن علي التركي في الثامن من كانون الأول من عام ١٧٩٥ . والده الباي علي بن حسين الذي تولى حكم الاسرة الحسينية[١] بين عامي (١٧٥٩-١٧٨٢م) [٢] ، أمه كانت جارية اسمها محبوبة تزوج بها أبوه في الجزائر ، ولما قدم إلى تونس أعتنى والده بتربيته وتعليمه ، فقرأ ما تيسر من سور القرآن الكريم ،وأخذ ما يلزم من دراسة وتعلم الفقه الحنفي على يد كاتب أبيه ومؤرخ دولته الفقه أبا محمد [٣] .

وفي الوقت نفسه تعلم حمودة باشا النحو والحساب ،والتأريخ والصرف على يد الشيخ الحاج حمودة ابن عبد العزيز والوزير مصطفى خوجه ، فضلاً عن تعلمه اللغة التركية نطقاً وكتابة، وأتقانه شكلاً من أشكال اللغة الايطالية التي كان يتكلمها الاوربيون القاطنون في تونس ، لذلك يمكن عد معرفة حمودة باشا ببعض اللغات ، الاداة التي فتحت له مجالات ثقافية هامة وجعلته يمتلك معرفة نادرة لا تتوفر لغيره من حكام شمال أفريقيا [٤].

أتصف حمودة باشا منذُ صغره بأنه كان ثاقباً الفكرة قوي الحزم ، صادق العزم، أبي الضيم ، غيوراً على بلاده محباً لاهلها ، عارفاً بمنازلهم ومكانتهم . غلب عقله على هواه ، جماعاً للمال متلافاً له في أوقات الحاجة بعيداً عن الاسراف ، مولعاً بالاستكثار الجند من الترك والتودد إليهم [٥].

وبعد أن أكمل حمودة باشا السابعة عشر من عمره أشركه والده علي بن حسين في الحكم [٦] عام ١٧٧٠م وأرسل طلباً للدولة العثمانية [٧] للموافقة على تقديم ابنه لولاية تونس من بعده . وقد اجابته الدولة العثمانية على ذلك وأرسلت له الخلعة والفرمان في ٩ شباط من عام ١٧٧٧م [٨].

وعلى ما يبدو فأن والده أراد عن طريقال عمله هذا تجنب أي نزاع من بعده حول العرش ، فضلاً عن خوفه من تسلط الجزائريين وضغطهم على الباي ولاسيما إذا ماعلموا بمرضه وهرمة[٩]. تمت لحمودة باشا البيعة ، ووفدت عليه وفود التهاني من كل حدب وصوب . وكان مما ساعده على القيام بأعباء الحكم على أحسن ما يكون هو ما أكتسبه من خبرة ومران في امور الادارة والحكم ،والتي مارسها طوال ست سنوات تحت اشراف مباشر من قبل والده [١٠] هذا فضلاً عن أختياره لمساعدين ومشاورين ممن نبغوا في أمور السياسة والحكم ولعل من أهمز هؤلاء هو الوزير يوسف صاحب الطابع [١١]، ورئيس الكتبة " محمد بن محمد الأصرم " وقائد الجيش " سليمان كهية" ، والناظر " محمد العربي زروق " وغيرهم [١٢].

سياسته الاصلاحية الداخلية

أ-الاصلاحات الادارية

عمل حمودة باشا على حسم الخلافات بينه وبين افراد الاسرة الحسينية الحاكمة فاراد بذلك أبعاد الفتن والاضطرابات عن بلاده ، ولاسيما مع وجود منافسين له في العرش أمثال محمود وأسماعيل أبناء عمه المطالبين بأحقية حكمهم للبلاد [١٣] . وكان محمود قد تنازل عن المطالبة بحقه بالعرش لصالح ابن عمه حمودة باشا وقدم له الولاء والطاعة [١٤] . واعترافاً من حمودة باشا بالجميل لابن عمه محمود رفض ان يقبل الأخير يده عندما قدم لمبايعته . وصاهره احدى اخواته، فتعاظمت أواصر المحبة فيما بينهم . أما ابن عمه الاخر اسماعيل فقد أغدق عليه العطايا والامتيازات ،وبادرهم بالمجاملة والعطف ، مما جعلهم ينجذبون إليه ويساندونه [١٥].

وفي السياق ذاته ، كان حمودة باشا حذراً شديد البطش لمن تحدثه نفسه من الامراء بمخالفته أو عصيانه . إذْ قام بأبعاد العناصر التركية عن المراكز الحساسة ممن كانوا لا يتحملون فكرة العمل تحت أمرة باي لم يولد في احدى الولايات الشرقية للدولة العثمانية ، ولا سيما أنهم بدوءا يظهرون تعالي وتكبر على سكان البلاد ،وأن الاسرة الحسينية مغتصبة للحكم. على الرغم من أن الاسرة الحسينية ، هي أسرة حاكمة تركية عثمانية ، إذْ إن أصول مؤسسي هذه الاسرة كانوا من أصل تركي[١٦]. الا أن تصرفات الاتراك وتعاليم دفع حمودي باشا الى إبعاد الاتارك من مواقعهم واستبدلهم بمواطنين تونسيين من ابناء البلاد ، اعتقاداً وقناعة منه أنهم اصحاب المصلحة العليا في بناء الدولة ،ولكنه لم يمض وقت طويل حتى أدرك أن من أختارهم من التونسيين ليكونوا مؤهلين بالشكل المطلوب في القيام بالمهام التي اسندت اليهم [١٧] ، ويبدو أن هناك اسباب أخرى دفعت حمودي باشا لابعاد ابناء البلاد والعراق للاعتماد على عناصر شابه تركية ، مماليك صغار السن . أولاهم عنايته من تدريب وتربية ، مخططاً أن يسلمهم خطط الادارة للانتباه انه فرض عليهم عدم التكلم باللغة العربية والأمر والادهى منعهم من الاندماج بالمجتمع التونسي ،وهذا مؤشر أنه أراد بناء جدار بيروقراضي بين المجتمع والفئة الحاكمة ،وما يؤكد ذلك اعتماده على شباب في ريعان العمر وغير متزوجين لادارة المؤسسات وثم " ويوسف صاحب الطابع " والي ذكر عنه انه كلف بادارة تنظيم الادارة في الولايات [١٨]. كل ذلك من أجل خلف جيل من الاداريين الشباب متفرغين لخدمة ادارته والولاء الشخصية.

وعلى ما يبدو فإن حمودة باشا أراد عن طريق هذه القوانين الصادرة التي فرضها على الاداريين ضمان التفرغ والولاء لخدمة البلاد.

ب-أصلاحاته الاقتصادية

تولى حمودة باشا العرش ،ولم يجد في خزينة الدولة من المال ما يفي بمرتبات الجند ، لذلك أقدم على استحداث قوانين جديدة للجبابة جرى بها العمل في عهده وعهد بعض من تولى العرش من بعده [١٩]. واجه حموده باشا معضلة كبيرة في بداية حكمه عثرت جهوده في الاصلاح الاقتصادي وهو انتشار الاوبئة والامراض المعدية بين عامي ١٧٨٤-١٨٠٣ ، ومنها وباء الطاعون الذي اجتاح البلاد عام ١٧٩٧م ،ويعزى سبب ذلك وبشكل رئيسي على حركة الحجاج عبر الاراضي والموانئ التونسية وناهيك عن التبادل التجاري مع ميناء الاسكندرية والقادمين عبر ذلك الميناء الحيوني [٢٠] وجراء ذلك هبطت سمعة تونس الدولية ، إذ هبطت سمعة تونس الدولية اذ توقفت المعاملات التجارية مع اوربا وأغلب الفنادق التي كان يرتادها الاوربيون [٢١] ،ولهذا فلا عجب اذا ما استعان حمودة باشا بالاطباء والاجانب للقضاء على الوباء[٢٢].

وما أن سيطر حمودة باشا على الاوبئة والمجاعات بدأ بتعزيز أمكانيات بلاده الاقتصادية وبالمجالات كافة ، ففي المجال الزراعي : حث حمودة باشا ومنذ توليه العرش على العمل لتحسين جودة المنتوجات التونسية ،وقد سعى لتحسينها باستعمال الطريق العلمية الحديثة ، فأمر عام ١٨٠٧ بمنع ذبح البقر والغنم في البلاد التونسية من اجل زيادة الانتاج [٢٣]. وقام بتأمين اسعار مربحة وأسواق خارجية للانتاج الزراعي ، مما أدى إلى أزدهار النشاط الزراعي في تونس فكان حموده باشا اول بأي في العهد العثماني سمح بتصدير المنتوج الزراعي التونسي الى اوربا بصورة مباشرة ورسمية وعلنية [٢٤] . مما أنعش الاقتصاد التونسي بتأمينه أسعار رابحة[٢٥] ،واسواق خارجية للإنتاج الزراعي التونسي لاسيما بعد عام ١٧٨٧م ،والذي أدى الى ارتفاع مستوى الرفاه الاقتصادي للأهالي، وتطور الصناعة والتجارة [٢٦]. أما في المجال الصناعي ، فقد قام بتشجيع الصناعات المحلية وكان من احد أسباب نجاح هذه السياسة ، هو وجود الأندلسين بثقافتهم وصناعتهم ومهارتهم في تونس ، فكان لشخصية (يوسف صاحب الطابع) دور في هذا المجال ، ولاسيما دوره في تشجيع أهل الحرف الذين لهم صناعات صغيرة محلية ،ومن الصناعات التي أزدهرت في تونس صناعة الخزف والسجاد والحلي ،وصناعة الجلود ،وجميع هذه الصناعات تصدر الى الخارج بكميات كبيرة ، درت

على تونس أمولاً طائلة[٢٧]. وفي المجال التجاري ، فقد جددت تونس في عهد حمودة باشا معاهداتها التجارية مع كل من اسبانيا والولايات المتحدة الامريكية[٢٨].ومن أجل تنشيط وضمان ربح للتجار المحليين ، أتخذ حمودة باشا تدابير عدة منها قيامه بمنع التجار الاجانب من بيع المحاصيل الزراعية للخارج من المزارعين مباشرة بل يجب أن يتم ذلك بواسطة تجار تونسيين ،وكان ذلك الاجراء ايضاً لحماية الفلاح من الغبن الذي كان يحصل له عند بيعه كل محصوله او جزء منه قبل وقت الحصاد بأثمان بخسة . هذا فضلاً عن تنشيط لحركة القوافل التجارية في شمال البلاد وجنوبها والتي كان لها الدور البارز في ترويج البضائع التونسية[٢٩].

سياسته في مواجهة ثورة الجند ١٨١١م

على الرغم من المعاملة الحسنة التي كان يعامل بها حمودة باشا الجنود العثمانيين منذ أول عهده بالحكم ،وكانت سياسته الأكثار من هؤلاء الجند على عكس البايات الذين سبقوه . كان الجند من البداية يناصبون العداء للأسرة الحسينية على الرغم من كونها تابعة للدولة العثمانية ،واصلها يرجع للدولة العثمانية ايضاً فكان الجنود يعدونها أقل منهم شرفاً وأصالة ،لأن مؤسس هذه –الأسرة على الرغم من كونها عثمانية الاصل– مولده في اليونان ، فكان ذلك موضع أتهام من قبل الجند الانكشارية [٣٠] الذين كانوا في تونس[٣١].

لم يتوقف نظرة الجند واستهانتهم على الاسرة الحسينية واصولها بل امتدت الى ابناء تونس وعاملوا الناس بأسوأ الاساليب ، ووصفوا بأنهم كثيروا الظلم للأهالي مفضلين مصالحهم ووصلت عنجيتهم انهم يهينون الناس ويعتدون عليهم اثناء مرورهم في الاسواق ، كل ذلك ادى الى طغيان الفوضى في البلاد ، فتلقى الاشارة الى أنة احدى المصادر اشارت الى أن جرائم الجند دخلت الى ثمان او تسع مرات في الليلة الواحدة على السكان [٣٢].

أمام ذلك الوضع المضطرب ، أتخذ حمودة باشا اجراءات عدة للحد من فوضى الجند وظلمهم للناس ، فقد أمر خلال عامي (١٧٨٢–١٧٩٢م) بنزع أسلحتهم مرتين وأبقائهم عزلاً وأبدى تخوفه منهم ،وأمر حرس القصر بنزع سلاح المبعوث السلطاني العثماني قبل دخوله عليه ، على الرغم من عدم رضا السلطان على ذلك الاجراء الذي يعد بمنزلة أهانة له [٣٣]. تزايد عدد الجند في البلاد ولاسيما في عام ١٧٩٣م ، مما جعل الباي أمام أمرين وهم الجند من جهة ،وكره الاهالي له من جراء تزايد أعداد الجند من جهة اخرى ، فقد كانوا يبدون ولائهم وعطفهم

الدائم لكل ما هو عثماني من دون النظر الى مصلحة تونس التي يخدمونها ،ولا إلى سياسة ورغبات الباي الذي جلبهم لخدمته ، وأغدق عليهم نعمة وحبه في بادئ الامر غير أن الجند كانوا دائمي التطلع الى الجزائر وداي الجزائر بروح الطاعة والولاء على انها ولاية عثمانية بحق يحكمها جند عثمانيين وهم الذين يتولون انتخاب دايها ، وقد كان لأضطراب الاوضاع ما بين تونس والجزائر هي احدى أهم اسباب ضعف ولاء هؤلاء الجند وخيانتهم [٣٤].

ولما تولى علي برغل [٣٥] حكم طرابلس الغرب عام ١٧٩٤م ، وطرد واليها الشرعي ، لم يعترف به حموده باشا كوالي عثماني رسمي بل كقرصان مغامر ، فحاول علي برغل احداث البلبلة في الجند العثمانيين في تونس ليحبط اي مخطط لتدخل داي تونس في قضايا طرابلس ،وسعى إلى أثارة الجند بتونس وأغرائهم للالتحاق به ،وقد انصاع الكثير منهم الى طرابلس ، عند ذلك شعر حمودة باشا بالخطر من جراء الأكثار بالجند العثمانيين وأنه سوف يكون بين حكومتين عثمانيتين في الجزائر وفي طرابلس الغرب ، وخيانة في الداخل من الجند العثمانيين [٣٦].

ازدادت أعمال الجند الفوضوية ، فتولدت حالة من عدم الاستقرار ولاسيما بعد محاولتهم قتل القنصل البريطاني عام ١٧٩٧ ،وفي العام التالي احدثوا اضطرابات كبيرة بسبب غزو نابليون بونابرت [٣٧] لمصر ١٧٩٨م ، وهددوا بالعصيان وبقتل جميع الفرنسيين في تونس ، لولا الاجراءات الأمنية الخاصة التي اتخذها الباي التونسي ، كذلك قاموا بنشر الفوضى وقتلوا ونهبوا دكاكين الاهالي وبيوتهم عام م١٨٠٢ ،وكانوا يسلبون حتى البدو . وفي عام ١٨٠٧م تسبب الجند في الحاق الهزيمة والاندحار للجيش التونسي في حربه ضد الجزائريين بسبب عدم الطاعة والخيانة[٣٨]. عمل حمودة باشا على ادخال الاصلاحات على الجانب العسكري وكان هدفه من ذلك الحد من نفوذ الجند والغاء أمتيازاتهم ، حينها قرر الجند العثمانيون اغتيال حمودة باشا وفي حال عدم نجاح الخطة بأغتياله فسوف يقومون بثورة مسلحة لتحقيق اهدافهم في الحكم التونسي .وقد سبق ثورة الجند العثمانيين شهوراً من الفوضى والاضطراب ،إذْ كان عدد الجند نحو تسعة الاف جندي عثماني ، وهم المستائين من سياسة حمودة باشا الاصلاحية في مجال الجيش[٣٩].

علم الباي بخطة الجند الاتراك لأغتياله وقت ذهابه إلى جامع الزيتونة ، فلم يغادر القصر ، عند ذلك لجأ الجند إلى قوة السلاح للاطاحة به وذلك ليلة ٣٠ آب ١٨١١م ، أذ أجتمع عدد كبير من الجند العثمانيين في (قلعة القصبة)[٤٠] وأنتخبوا

أحدهم ليصبح دايا على تونس بعد قتل حمودة باشا ،وعينوا له الوزراء وخرج الجند من ثكناتهم وتفرقوا في احياء المدينة واسواقها ناشرين الفوضى والاضطراب والرعب بعد ان اطلقوا نيران بنادقهم ومدافعهم ايذاناً باندلاع الثورة وكادت ان تصبح حرب أهلية ولاسيما أن غالبية الاهالي كانوا يكرهون الجند العثمانيين فحملوا السلاح واحاطوا باسوار القلعة مصممين على حربهم [٤١].

في بداية الثورة تمكن الجند العثمانيين من السيطرة على الأمور ، وبدأت تخرج السلطة من ايدي الحكومة ، عند ذلك عين حمودة باشا وزيرة (صاحب الطابع) [٤٢] على أمرة بعض المماليك الخيالة من حرس الباي الخاص ،وأوكل اليه مهمة مقاومة الجند وأخماد الفتن ، فتركزت جهوده بالحفاظ على مباني البعثات الأجنبية، ومساكن الجاليات . ووجه قوته الباقية لمحاربة الجند المتمردين مستعيناً ببعض الضباط الفرنسيين والبريطانيين [٤٣] . واستطاعوا استنزاف ذخيرة المتحصنين بالقلعة وفتح الثغرات في سورها، فهرب عدد كبير من الجنود المتحصنين ، في حين استسلم الباقون قبل ان يصلوا الى الحدود الجزائرية ، وهذا يدل على ان هؤلاء الجند كانوا مدعومين من الخارج ولاسيما من قبل داي الجزائر ، وقد تم قتلهم جميعاً وألق القبض على بعضهم ، وبذلك تم القضاء على هذه الثورة التي أبيد فيها أكثر من ثلاثة الاف جندي عثماني [٤٤].

أقتنع حمودة باشا بضرورة وحتمية الاعتماد على التونسيين ، فقام بتعزيز الجيش التونسي بعناصر معظمهم افراد تونسيين ، للدفاع عن وطنهم وأهلهم بدلاً من العثمانيين والجند المرتزقة [٤٥]. كما عمل التشكيلات الوطنية ،وأصبح هؤلاء قوة عسكرية جديرة بالتقدير والاحترام لأخلاصهم ووقوفهم الى جانب حكومة حمودة باشا في حربه ضد الجزائر والجند المتمردين [٤٦].

وتماشياً مع سياسته العسكرية الاصلاحية ، أولى باي تونس أهتمامه برجال (المخزن) وهم فرق غير نظامية من الفرسان الخيالة ينتمون الى قبائل مختلفة ، والتي كان لها موقف كبير في القضاء على ثورة الجند العثمانيين ، هذا فضلاً عن تأسيس فرقة عسكرية من المماليك الجراكسة ،والاوربيين الذين اعلنوا اسلامهم واصبحوا تونسيين ،وكانوا يتمتعون بثقة باي ، حتى أنه جعلهم حرسه الخاص، وشاركوا معه في القضاء على ثورة الجند عام ١٨١١ م[٤٧].

الجانب العمراني

أسس في عهد حمودة باشا ثاني الجوامع المشيدة في تونس ،وسط الاسواق المحيطة بالجامع الأعظم ، وكان من أهم اسباب أختيار موقعة هذا قربة من جامع الزيتونة إذْ لايفصل بينهما إلا بضعة أمتار . وقد شيد بالأساس لنشر المذهب الحنفي – مذهب الحكام الرسمي – بين عامة الناس . وبما ان جامع الزيتونة قد مثل على مر التأريخ معقل لعلماء وشيوخ المالكية ، فإن انشاء جامع قريب منهم يدرس المذهب الحنفي كان يشكل في نظرهم أهم الطرائق لدعم وجودهم المذهبي ومن ثم السياسي (٤٨).

تأثر مهندسي بناء هذا الجامع بالنمط التركي ، من حيث المئذنة الأكثر طولاً من غيرها من الجوامع الاخرى ،والصحون الثلاثة المحيطة بين الصلاة والمحراب المكسو جوفها بلوحات المرمر ، والمنبر الراجع في تصميمه للعهد التركي ، هذا فضلاً عن التأثيرات المحلية عن طريق أطر الأبواب والنوافذ التي تفتح على بيت الصلاة كذلك السقوف المتمثلة في اقبية متقاطعة ، مما يدل على تمازج مابين الطابعين التركي والمحلي التونسي (٤٩).

وفاته

توفي حمودة باشا في ١٥ أيلول ١٨١٤م ، بعد أن بلغ من الثالثة والستين من عمره ، قضى فيها في الحكم نحو ثلاثة وثلاثين عاماً وثلاثة أشهر (٥٠).

أختلف المؤرخون حول سبب وفاة الباي ، فمنهم من أكد ان السبب هو السم الذي دس له في فنجان القوة، والبعض يذهب الى تآمر شقيق الباي على اخيه لتكون له الخلافة، وأخرين بينوا ان وفاته سببها استنشاقه لمسحوق التبغ الممزوج بالسم قدمه له أمينة العسكري (٥١).

أما المؤرخ احمد بن ابي الضياف ، فيذكر ان سبب وفاة حمودة باشا هو مرض القلب الذي عانى منه طوال مدة حكمه من دون ان يعلم الناس به (٥٢).

ومهما تعددت الاسباب حول وفاة حمودة باشا ، إلاَّ أن فقدانه كان بمنزلة فاجعة لأهالي تونس الذين فقدوا بوفاته واحداً من خيرة رجالها ،والذي قام بالكثير من الأعمال من اجل النهوض بتونس .

الخاتمة

توصل البحث الى جملة من النتائج منها :

١. تمكن حمودة باشا من بناء ركائز دولة تونس الحديثة ، مستغلاً كل الظروف التي يمكن ان تسهم ايجابياً لبلوغ أهدافه ،وهذا يعود الى ما كان يتحلى به من شخصية فذة وصفات ثقافية جعلت منه الحاكم الأكثر تأثيراً في تلك المرحلة.

٢. أحاط حمودة باشا نفسه بالرجال الاقوياء المخلصين والمطيعين ،والتي مكنته من أدارة البلاد بالشكل الصحيح، وتم في عهد الازدهار في اعمال الزراعي ، والصناعي والتجاري والعمراني في البلاد .

٣. ان الاستقرار الداخلي لتونس طول عهد حمودة باشا دليل واضح على نجاح سياسته الداخلية والتي بفضلها حقق العديد من الانجازات.

الهوامش

(١) الأسرة الحسينية ، تولت الحكم في تونس بعد أنتهاء حكم الاسرة المرادية على أثر الفتنة العائلية التي حدثت بين اولاد الباي مراد ، حكمت البلاد لمدة طويلة من (١٧٠٥-١٩٥٧م) وتذكر المصادر ان أصولهم تعود الى جزيرة كرين ، اول من تولى الحكم من ابنائهم هو (حسين ابن علي بن تركي) الذي استطاع ان يطرد الجزائرين من البلاد وان يجعل الحكم وراثياً في اسرته ،وقد حكم تونس تسعة عشر بايا حسينياً على مدى قرنين ونصف اي حتى الخامس والعشرين من تموز عام ١٩٥٧ ، فقد شكلت هذه الاسرة من حيث المقارنة مع الاسر الحاكمة في تاريخ العرب الحديث ، اطول عهد اداري لامركزي تحت الحكم العثماني . للتفصيل ينظر: سيار كوكب علي الجميل ، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٩ ، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ، ١٩٩١ ، ص٢٤٨ ؛ بن بلغيث الشيباني ، ابحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر، مكتبة علاء الدين، تونس ، ٢٠٠٨ ، ص٤٥.

(٢) ابي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، مسارات الطرايف محسن التعريف ، تحقيق : محمد الشاذلي التيغر ، دار سلامة للطباعة والنشر ، تونس ، (د.ت) ، ص١٣٣.

(٣) احمد بن أبي الضياف ، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٩ ، ج٣ ، ص١١.

(٤) رشاد الامام ، سياسة حمودة باشا في تونس ١٨٧٢-١٨١٤ ، أطروحة دكتوراه ، منشورة ، الجامعة الامريكية ، بيروت (د.ت) ، ص٨٣-٨٩.

(٥) احمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق، ص١٣-١٤.

(٦) رشاد الامام ، المصدر السابق، ص٦٤.

(٧) في عام ١٥٧٤ أصبحت تونس ولاية تابعة للدولة العثمانية ويمكن تقسيم هذه المدة على ثلاثة عقود :

١. عهد الباشوات وهي مدة قصيرة امتدت في عامي (١٥٧٤-١٥٩١م) كان خلالها الحاكم يعين مباشرة من السلطان العثماني.

٢. عهد الدايات والتي امتدت أربعة عقود تقريباً (١٥٩١-١٦٣٠م) وكان الحاكم فيه ينتخب من الديوان الذي يضم ضابط الجيش الانكشاري بتونس.

٣. عهد البايات : وهو العهد الذي أصبح فيه نظام الحكم في تونس ومنذ النصف الاول من القرن السابع عشر وراثياً ، وقد تولته عائلتان الاولى كانت الاسرة المرادية (١٦٣٧-١٧٠٠) ،وبعد مدة انتقالية بين عامي (١٧٠٢-١٧٠٥م) تولت الحكم الاسرة الحسينية التي بقيت في الحكم حتى اعلان الجمهورية في ٢٥ تموز من عام ١٩٥٧.

للتفاصيل ينظر : راغب السرجاني ، قصة تونس ، ط١ ، دار اقلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ، ٢٠١١ ، ص١٧-١٨.

(٨) حسن حسين عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، ط٣ ، دار الكتب العربية الشرقية ، تونس ، (د.ت) ، ص١٥٦.

(٩) رشاد الأمام ، المصدر السابق، ص٦٤.
(١٠) احسان حقي ، تونس العربية ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ت) ، ص١١٠.
(١١) صاحب الطابع : وهو الوزير ابي المحاسن يوسف خوجه ، أصله من مسلمي البغدان ، استقدم الى تونس بصفة مملوك ،ونظراً لذكائه واخلاصه تدرج في المناصب الى ان أصبح احد الشخصيات المهمة التي اعتمد عليها حمودة باشا في حكمه ، حتى منحه لقب صاحب الطابع عام ١٧٨٣ والذي يعني حافظ ختم الباي . للتفصيل ينظر :احمد بن ابي الضياف ، المصدر السابق، ص٩٠.
(١٢) حسن حسني عبد الوهاب ، المصدر السابق، ص١٥٦.
(١٣) رشاد الامام ، المصدر السابق، ص١٦٤-١٦٥.
(١٤) فاضل بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي ، دراسة تاريخية في الاوضاع الادارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية (مطلع العهد العثماني – اواسط القرن التاسع عشر) ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية (د.م) ، (د.ت) ، ص٥٨٨ ؛ احسان حقي ، المصدر السابق، ص١١٠.
(١٥) رشاد الامام ، المصدر السابق، ص١٦٥.
(١٦) منذ ان سيطر الاتراك العثمانيين تونس عام ١٥٧٤ جعلوا من انفسهم طبقة في المجتمع تتميز بالنبل والسمو عن بقية الاهالي ، لذلك نصبوا رجالهم على أهم المناصب في البلاد وقد ضمن لهم هذا النظام عدم تزعم اي شخصية تونسية للبلاد ومارسوا ضدهم سياسة الاستعلاء والتمييز عن الاهالي . للتفصيل ينظر : المصدر نفسه ، ص١٧١-١٧٢.
(١٧) المصدر نفسه ، ص١٧٧-١٧٨.
(١٨) المصدر نفسه ، ص١٧٩-١٨١.
(١٩) المصدر نفسه ، ص٢٦٧.
(٢٠) كمال مايدي ، علاقات تونس مع دول اوربا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا (١٧٨٢-١٨١٤) ، رسالة ماجستير ، المركز الجامعي بفرداية ، الجزائر ، ٢٠١٢، ص٥٦.
(٢١) محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس ، عصر ما قبل التاريخ الى الاستقلال ، ترجمة : محمد الشاويش ومحمد عجته ، ط٣ ، دار اسراء للنشر ، تونس ، ١٩٩٣ ، ص٨٨.
(٢٢) كمال مايدي ، المصدر السابق، ص٥٨.
(٢٣) احمد بن ابي الضياف ، المصدر السابق، ص٧٨-٨٤.
(٢٤) رشاد الامام ، المصدر السابق ، ص٢٧١-٢٧٣.
(٢٥) سيار كوكب الجميل ، المصدر السابق، ص٢٥٠.
(٢٦) فاضل بيات ، المصدر السابق، ص٥٨٨.
(٢٧) رشاد الامام ، المصدر السابق، ص٢٨٢-٢٨٣.
(٢٨) نيقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية من ١٨٨١-١٩٣٤ ، معهد الدراسات العربية العالية، تونس ، ١٩٦٣، ص٢٣.
(٢٩) رشاد الامام ، المصدر السابق، ص٢٩٢-٢٩٣.
(٣٠) الانكشارية هم فرق عسكرية كانت مهمتها المحافظة على الاراضي التي ضمتها الدولة، وقد تكونت عن طريق تحويل الاسرى الى عبيد او جمع أطفال من أبناء المسيحين واقواهم بدناً ليصبحوا عبيداً للسلطان . وينشأون على الاسلام ، بعيداً عن اسرهم ،ويدرون حياة الجندية في تنظيم دقيق وقد فتحت للبعض منهم فرص الترقي لاعلى الرتب لذوي الكفاءات منهم . وكان يحرم عليهم الزواج ومزاولة الاعمال التجارية والصناعية ، طالما كانوا في الخدمة . للتفصيل ينظر : احمد زكريا الشلق ، العرب والدولة العثمانية من الخضوع الى المواجهة ١٥١٦-١٩١٦ ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، ط١ ، مصر ، ٢٠٠٢، ص٢١.
(٣١) رشاد الامام ، المصدر السابق، ص١٩٦.
(٣٢) احمد بن ابي الضياف ، المصدر السابق، ص٥٤.
(٣٣) حسن حسني عبد الوهاب ، المصدر السابق، ص١٥٩.
(٣٤) توترت العلاقات ما بين تونس والجزائر بعد تولي حمودة باشا حكم تونس ، فقد قام داي الجزائر بتحريض مقاطعة مستنطينية الجزائرية المتاخمة للحدود التونسية لاحداث مشاكلات ضد تونس ،وزادت هذه الاضطرابات في وقت حرب تونس مع البندقية ،والتي لم تهدأ الا ما بين عامي ١٧٩٨-١٧٩٩ ،وقد دارت أخر معركة مابين البلدين على الحدود التونسية – الجزائرية عام ١٨٠٦ انتصرت فيها القوات التونسية . للتفاصيل ينظر : محمد خير= =فارس ، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، ٢٠٠٣ ، ص١٥٧-١٥٨.
(٣٥) علي برغل ، وهو انكشاري عمل في الجزائر وأصبح رئيس البحرية فيها ، ثم عاد الى استانبول وعرف بالجزائري ،وبعد ان جمع ثروة كبيرة من الرشوة تم له شراء منصب طرابلس الغرب ، وبعد فشله بالحصول

على الارز لقب بـ (علي برغل) واسمه الحقيقي هو علي بن زول . للتفصيل ينظر : علي عمر بن اسماعيل ، انهيار الاسرة القرمائلية في ليبيا (١٧٩٥-١٨٣٥ م) ، طرابلس ، ١٩٦٦ ، ص٦٠.

(٣٦) محمود علي عامر ، ليبيا منذ مطلع القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين ، جامعة دمشق ، ١٩٩٩ ، ص٢١٩.

(٣٧) نابليون بونابرت : ولد في عام ١٧٦٩ في جزيرة كورسيكا الواقعة في البحر المتوسط ، التحق بالمدرسة العسكرية في فرنسا وبعدها التحق بالجيش الفرنسي ،وبعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ،واصبح له مكانة كبيرة في فرنسا كونه قائد عسكري قاد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ ، توفي نابليون عام ١٨٢١ في المنفى في جزيرة هلين . لمزيد من التفاصيل ينظر : أيمن ابو الروس ، شخصيات لاينساها التاريخ نابليون بونابرت ، مكتبة الساعي ، الرياض ، ٢٠١٣ ، ص٥-١٠.

(٣٨) احمد بن ابي الضياف ، المصدر السابق، ص٥٦.

(٣٩) رشاد الامام ، المصدر السابق، ص٢٠٥.

(٤٠) قلعة القصبة : وهي القلعة التي اتخذها الجند الاتراك كمعسكر لهم بعد سيطرتهم على تونس عام ١٥٧٤ بقيادة سنان باشا .

(٤١) سيار كوكب الجميل ، المصدر السابق، ص٣٣٢.

(٤٢) احمد بن ابي الضياف ، المصدر السابق، ص٩٠.

(٤٣) المصدر نفسه ، ص٥٥.

(٤٤) احسان حقي ، المصدر السابق، ص١١١ ؛ احمد بن ابي الضياف ، المصدر نفسه ، ص٥٥.

(٤٥) رشاد الامام ، المصدر السابق، ص٢٠٦.

(٤٦) احمد بن ابي الضياف ، المصدر السابق، ص٥٥.

(٤٧) رشاد الامام ، المصدر السابق، ص٢١٣.

(٤٨) محمود الباجي بن مامي ، جوامع مدينة مدينة تونس في العهد العثماني ، تونس ، (ت.ت)، ص٥.

(٤٩) محمود الباجي بن مامي ، المصدر السابق ، ص٥-٦.

(٥٠) رشاد الامام ، المصدر السابق، ص٧٢.

(٥١) كمال مايدي ، المصدر السابق، ص٥٢.

(٥٢) احمد بن ابي الضياف ، المصدر السابق، ص١١٦.

قائمة المصادر

١. ابي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي ، مسارات الظريف محسن التعريف ، تحقيق : محمد الشاذلي التيغر ، دار سلامة للطباعة والنشر ، تونس ، (د.ت).
٢. احسان حقي ، تونس العربية ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ت).
٣. احمد بن ابي الضياف ، أتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٩.
٤. احمد زكريا الشلق ، العرب والدولة العثمانية من الخضوع الى المواجهة ١٥١٦-١٩١٦ ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، ط١ ، مصر ، ٢٠٠٢.
٥. أيمن ابو الروس ، شخصيات لاينساها التاريخ نابليون بونابرت ،مكتبة الساعي ، الرياض ، ٢٠١٣.
٦. بن بلغيث الشيباني ، ابحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر ، مكتبة علاء الدين ، تونس ، ٢٠٠٨.
٧. حسن حسين عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، ط٣ ، دار الكتب العربية الشرقية ، تونس ،(د.ت).
٨. راغب السرجاني ، قصة تونس ، ط١ ، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٧.
٩. رشاد الامام ، سياسة حمودة باشا في تونس ١٨٧٢ -١٨١٤ ، أطروحة دكتوراه منشورة ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، (د.ت).
١٠. سيار كوكب علي الجميل ، تكون العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٩١.

١١. علي عمر بن اسماعيل ، انهيار الاسرة القرمانلية في ليبية (١٧٩٥-١٨٣٥) ، طرابلس ، ١٩٦٦.
١٢. فاضل بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربية ، دراسة تاريخية في الاوضاع الادارية على ضوء الوثائق والمصادر العثمانية لمطلع العهد العثماني – اواسط القرن التاسع عشر ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (د.م) ، (د.ت).
١٣. كمال مايدي ، علاقات تونس مع دول أوربا بالغربية المتوسطية وتأثيرات البحرية فيها في عهد حمودة باشا (١٧٨٢-١٨١٤) ، رسالة ماجستير ، المركز الجامعي بغرداية ، الجزائر ، ٢٠١٢.
١٤. محمد خير فارس ، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، ٢٠٠٣.
١٥. محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال ، ترجمة : محمد الشاوش ومحمد عجته ، ط٣ ، دار اسراء للنشر ، تونس ، ١٩٩٣.
١٦. محمود الباجي بن مامي ، جوامع تونس في العهد العثماني ، تونس ، (د.ت).
١٧. محمود علي عامر ، ليبية منذ مطلع القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين ، جامعة دمشق ، ١٩٩٩.
١٨. نيقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية من ١٨٨١-١٩٣٤ معهد الدراسات العربية العالية ، تونس ، ١٩٦٣.

Abstract

Hamouda Pasha is one of the most important reform figures in the modern history of Tunisia , during his regin of nearly a third century , he abled to make a renaissance throughout the country , but it became one of the modern countries due to prosperity in all fields like political , administrative , economic and social sides as well as reforms in the military field ,which it have had a great impact on the reliance on national forces in all field . It have had a great impact in returning prestige of Tunisa to face European control .